غاية الفكر وتمام الشكر
في استعاذة النبي ﷺ من الفقر
دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية

بحثٌ مُقدَّمٌ إلى

المُؤتمَرِ الدَّوليّ الأوَّل لكليَّةِ أصُول الدِّين والدَّعوةِ بالمنصورة

بعنوان

التَّدابير الشَّرعيَّة والعَمَليَّة في مُواجهة مَوجةِ الغلاءِ العالميَّة

الأحد ٣ مارس ٢٠٢٤ م

إعداد

الدكتور / محمد صلاح أحمد محمد

مدرس الحديث وعلومه

في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

ملخص البحث باللغة العربية

غاية الفكر وتمام الشكر في استعاذة النبي ﷺ من الفقر – دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية

محمد صلاح أحمد محمد

قسم الحديث وعلومه، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: Mohamedsaber1095.el@azhar.edu.eg

الملخص:

كان النبي ﷺ دائمًا يستعيذ من الفقر الذي لا يصحبه صبر ولا ورع، حتى يُؤدي بالمرء أن ينزلق فيما لا يليق بأهل الصلاح والتقوى، ويسلك سبل الحرام المتعددة لجني المال دون مبالاة، فالفقر يخلق بيئة غير سوية تُسهم في وقوع الجرائم الأخلاقية المختلفة، ومن ثم اهتمت السنة النبوية بتقديم الحلول الناجعة للفقر كفرض الزكاة، واستحباب الصدقة، وإتاحة فرص العمل، وتعلم الحرف، وغير ذلك.

لذا جاء بحثنا في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، ومشكلته، وخطة البحث.

وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: مفهوم الفقر، والاستعاذة منه، وأما المبحث الثاني فبعنوان: دور السنة النبوية في علاج مشكلة الفقر .وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات التي توصلت إليها أثناء عملي في البحث، ثم ذيلت البحث بثبت أهم المراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الفقر، المسكنة، التوجيهات، النبوية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The ultimate goal of thought and gratitude in seeking help from the Prophet, may God bless him and grant him peace, from poverty - an objective study in light of the Sunnah of the Prophet

Mohamed Salah Ahmed Mohamed.

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah, Al-Azhar University, Mansoura, Arab Republic of Egypt.

Email: Mohamedsaber1095.el@azhar.edu.eg.

The Prophet, may God bless him and grant him peace, always sought refuge from poverty, which is not accompanied by patience or piety, so that it leads one to merge with what does not belong to the people of righteousness and piety, and to follow the paths of the Haramut to make money without care. Poverty creates an abnormal industry that contributes to the diversity of various types, and then the Sunnah of the Prophet paid attention to it. It offers new innovations for poverty, such as imposing zakat, recommending charity, providing job opportunities, learning crafts, and more.

Therefore, our research consisted of an introduction, two sections, a conclusion, and indexes.

The introduction explained an important topic, its problem, and the fruits of the research.

As for the first section: it is entitled: The concept of poverty and caring for it, and the second section is entitled: The role of the Prophet's Sunnah in treating the problem of poverty. As for the conclusion, I mentioned the most important results and proposals that I reached during the work in the research, then built the research by listing the most important references and an index of the topics. .

Keywords: poverty, misery, guidance, prophetic.

المقدمة

الحمد لله يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وضع ورفع، وأعطى ومنع، أفلح من دعاه، وسعد من رجاه، وفاز من تولاه، نصر أولياءه، قرب أحباءه، اطلع فستر، علم فغفر، زاد من شكر، من طلب غناه ما قل، ومن اهتدى بهداه ما ضل، هو الغني ونحن الفقراء إليه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الشريعة الغراء، والملة السمحاء، المتعبد في غار حراء، له المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، المذكور في التوراة والإنجيل، صاحب الغرة والتحجيل، المؤيد بأمين الوحي بجبريل. صلّ اللهم وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله قد قسم الأرزاق بين الناس بحكمته ورحمته، فإنه لا يخلو فعل من أفعاله عن حكمة تُبهر العقول، وتُحير الألباب.

قال تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢]

فجعل الناس فريقين، غنيًّا وفقيرا؛ ليبتلي الأغنياء بالفقراء هل يشكرون؟! والفقراء بالأغنياء هل يصبرون؟ . هذا وإن المؤمن – غنيًّا كان أو فقيرا– لا تُبطره نعمة، ولا تُفزعه شدة؛ لأنه يعلم أن حياته تدور بين اليسر والعسر، والشدة والرخاء، وهو قول رسول الله – ﷺ–: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ

ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ[1]». خلافا لمن افتقد للوازع الديني، فهو ناقم على قضاء الله وقدره، يحسد الأغنياء على ما آتاهم الله من فضله، ومن ثم استعاذ النبي ﷺ من الفقر المدقع الذي لا يصحبه صبر ولا ورع؛ فيورط صاحبه فيما لا يليق بأهل الإيمان، حتى لا يبالي بسبب فقره على أي حرام وثب، ولا في أي جريمة تورط، بل ربما أدى إلى الكفر والعياذ بالله.

ومن ثم فإن الفقر بما ينطوي عليه من مخاطر كثيرة في الدين، والصحة، والثقافة، والأخلاق، والاقتصاد، يُعد من أخطر ما تعاني منه الأمم والشعوب، وسبيل لمصائب أخرى أشد وأنكى، كما أنه يهدد أمن المجتمع وسلامته واستقرار أوضاعه؛ فكان لابد من الوقوف على هذه المشكلة، وعلى الآثار الناتجة عنها، ومعرفة العلاج الناجع الذي قدمته السنة النبوية لهذه المعضلة الكبيرة؛ درءا لخطرها على العقيدة والسلوك، وسعيا لترابط وتماسك المجتمع من خلال توفير حد الكفاية للفقراء حتى يتمكنوا من مواجهة أعباء الحياة.

ولما كانت كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة قد عزمت على عقد مؤتمرها الدولي العلمي الأول بعنوان (التدابير الشرعية والعملية في مواجهة موجة الغلاء العالمية) المنعقد في ٤ مارس ٢٠٢٤هـ، ووجهت الكلية مشكورة الدعوة لمنسوبيها وغيرهم، فرغبت في المشاركة ببحث لعله يُسهم في علاج المشكلة، ويكون لبنة في بناء استراتيجية مسلمة لعلاج ظاهرة الفقر التي انتشرت في كثير من بلاد العالم، ولقد استخرت الله أن أكتب فيما أُحسنه مما له تعلق بتخصصي في الجامعة، وهو الحديث وعلومه فاخترت بحثًا بعنوان:

(غاية الفكر وتمام الشكر في استعاذة النبي ﷺ من الفقر - دراسة موضوعية في ضوء السنة النبوية)

وهو داخل تحت المحور الثاني من محاور المؤتمر: السنة النبوية.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ- بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ (٤/ ٢٢٩٥- رقم ٢٩٩٩/٦٤) .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كون موضوعه من أكثر القضايا المؤرقة للدول والشعوب لا سيما في ظل موجة الغلاء العالمية، ألا وهو موضوع الفقر.

كما تأتي أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على أن الإسلام جاء بما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، فهو يساير الحياة، ويأمر بالعمل والسعي، شريطة أن يكون العمل طيبا؛ ليكون الكسب طيبا، ولم يُحرم من العمل إلا ما فيه جور وظلم وطغيان، فبعلاج الفقر نضمن استقرار المجتمع وسلامته، ومن ثم حاولت في هذا البحث أن أسلط الضوء على العلاج الناجع الذي وضعه الإسلام لمعالجة ظاهرة الفقر .

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في طرح جملة من الأسئلة التي يجاب عنها، وهي:

ما مفهوم الفقر؟

هل هناك فرق بين الفقير والمسكين؟

ما سبب استعاذة النبي ﷺ من الفقر؟

ما هو ضابط الفقر المبيح لأخذ الزكاة؟ حتى لا تصل إلا إلى من يستحقها، لمحاربة ظاهرة التسول والتواكل وترك العمل.

كيف عالجت السنة النبوية مشكلة الفقر؟

منهج البحث:

اتبعُ في البحث المنهج الوصفي والتحليلي والاستنباطي حيث أقوم بوصف ظاهرة الفقر وتحليلها واستنباط الآثار والأحكام، والحلول التي قدمها الإسلام لحل مشكلة الفقر.

- أعزو الآيات إلى سورها مع بيان رقم الآية .

- أقوم بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث إن وجد والحكم عليه.

- أشير إلى المصادر والمراجع في الهامش.
- أثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في آخر البحث.

هيكل البحث:

اشتمل البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

أما المقدمة: فتتضمن أهمية البحث ومشكلته، ومنهجية العمل فيه.

وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: مفهوم الفقر، والاستعاذة منه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الفقر، والفقر المُوجِب للمسألة، والفرق بين الفقير والمسكين.

المطلب الثاني: الاستعاذة من الفقر وفيه: أسباب استعاذة النبي من الفقر، والعلاقة بين الفقر والكفر، وآثار الفقر المُستعاذ منه ومآلاته.

وأما المبحث الثاني فبعنوان: دور السنة النبوية في علاج مشكلة الفقر.

وأما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات التي توصلت إليها أثناء عملي في البحث، ثم ذيلت البحث بثبت أهم المراجع، وفهرس للموضوعات.

المبحث الأول: مفهوم الفقر، والاستعاذة منه

*** مفهوم الفقر:**

الفَقْرُ: لغة: الحاجة، وفِعْلُهُ: الافْتِقار، والنعت فقير، والفُقراء: ضدّ الأغنياء، والفَقْرُ: ضِدّ الغِنى[(١)].

اصطلاحًا: الفقر: عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه؛ أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرًا[(٢)].

مفهوم الفقر في الاقتصاد:

تعددت تعريفات الفقر عند الاقتصاديين عبر مختلف العصور والأزمنة، إلا أن معظمهما يدور في فلك واحد وهو عبارة عن عجز الفرد عن توفير احتياجاته الأساسية والضرورية له ولأسرته من الغذاء، والدواء، والمشرب، والمسكن، والتعليم، وغيرها.

١- حالة يفتقد فيها الفرد إلى الدخل المكافئ لحصوله على مستويات دنيا من الغذاء، والرعاية الصحية، والملبس، وكافة الضروريات[(٣)].

٢- كما عرفت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (UNHCR) "الفقر" بأنه: حالة إنسانية تتسم بالحرمان المستمر أو المزمن من الموارد والقدرات والخيارات والأمان والقوة

---

(١) تهذيب اللغة (٩/ ١٠٢)، الإبانة في اللغة العربية (٣/ ٦٧٩) .

(٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (ص: ١٦٨)، التعريفات الفقهية (ص: ١٦٦)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٣/ ٣٠) .

(٣) الصعيدي عبد الله، مبادئ علم الاقتصاد"، الطبعة الثانية، مطابع البيان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

اللازمة للاستمتاع بمستوى معيشي لائق وغيرها من الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية[١].

ومن المصطلحات المصاحبة لتعريف الفقر عند علماء الاقتصاد هو مصطلح "خط الفقر" وهو المعيار الذي يستخدم لقياس ما إن كان الفرد عاجزًا أم قادرًا على أن يوفر لنفسه إشباع الحاجات الأساسية من غذاء، ودواء، وملبس، ومأوى وغيرها من الاحتياجات الأساسية للإنسان. وقد حدد البنك الدولي خط الفقر بما يعادل (١,٩ دولار أمريكي) للفرد الواحد يوميًا، ارتفع هذا المعدل حسب تقرير الفقر والرخاء المشترك الصادر عن البنك الدولي عام ٢٠٢٢ ليبلغ نحو ٢,١٥ دولار يوميًا[٢].

ويخلص الباحث مما سبق أن الفقر في النظام الاقتصادي يُعرَّف بأنه حالة أو ظاهرة اجتماعية اقتصادية تتسم بنقص أو عدم كفاية الموارد المالية أو المواد لدى الأفراد أو الأسر أو المجتمعات، مما يحول دون قدرتهم على تلبية الاحتياجات الأساسية مثل الطعام، والماء، والسكن، والتعليم، والرعاية الصحية.

---

(1) Donald Makoka and Marcus Kaplan ،"Poverty and Vulnerability - An Interdisciplinary Approach" ،Centre for Development Research ،University of Bonn ،2005 ،p.5 ،Online at https: //mpra.ub.uni-muenchen.de/6964/

(٢) البنك الدولي، " تقرير الفقر والرخاء المشترك .. تصحيح المسار "، ٢٠٢٢، ص ٣، منشور على موقع البنك الدولي بالرابط التالي:

worldbank.org

الفرق بين الفقير والمسكين، والفقر المُوجب للمسألة:

أَثْبَتَ اللهُ ﷻ لِلْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَهْمًا فِي الصَّدَقَاتِ، ولا خلاف في اشتراكهما في وصف عدمي وهو عدم وفاء الكسب بالكلية، والمال لمؤنته، ومؤونة عياله. وإنما الخلاف في أيهما أسوأ حالا. ومنشأ هذا الخلاف اختلاف أهل اللغة في ذلك.

قال الخطابي: وقد اختلف الناس في المسكين والفقير والفرق بينهما، روي عن ابن عباس أنه قال: المساكين هم الطوافون، والفقراء فقراء المسلمين. وعن مجاهد وعكرمة والزهري: أن المسكين الذي يَسأل، والفقير الذي لا يَسأل. وعن قتادة: أن الفقير هو الذي به زمانة، والمسكين الصحيح المحتاج.

وقال الشافعي: الفقير من لا مال له ولا حرفة يقع منه موقعا زَمِنًا كَانَ أَوْ غَيْرَ زَمِنٍ، وللمسكين من له مال أو حرفة لا تقع منه موقعا ولا تغنيه سَائِلًا كَانَ أَوْ غَيْرَ سَائِلٍ. وقال بعض أهل اللغة: المسكين الذي لا شيء له، والفقير من له البلغة من العيش، واحتج بقول الراعي.

أما الْفَقِير الَّذِي كَانَت حلوبته ... وَفْقَ الْعِيَال فَلم يتْرك لَهُ سَبَد

قال: فجعل للفقير حلوبة، وقال غيره من أهل اللغة: إنما اشترط له الحلوبة قبل الفقر فلما انتزعت منه ولم يترك له سبد صار فقيرا لا شيء له، قال: والمسكين أحسن حالا من الفقير، واحتج بقول الله تعالى ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف: ٧٩]، فأثبت لهم مع المسكنة ملكاَ وكسبا وهما السفينة والعمل بها في البحر. وقال بعض من ينصر القول الأول: إنما سماهم مساكين مجازا وعلى سبيل الترحم والشفقة عليهم إذ كانوا مظلومين، وقيل: إن المسكنة مشتقة من السكون والخشوع اللازمين لأهل الحاجة والخصاصة والميم زيادة في الاسم. وقيل: إن الفقير مشبه بمن أصيب فِقاره فانقصف ظهره من قولهم: فقرت الرجل إذا أصبت فقاره كما يقال: بطنته إذا أصبت بطنه ورأسته إذا أصبت رأسه إلى ما أشبه ذلك من نظائر هذا الباب. ويشبه أن يكون الفقير أشدهما حاجة/ ولذلك بدىء بذكره في الآية على سائر أصناف أهل الفاقة، والخلة والفقر هو

الذي يقابل الغنى إذا قيل فقير وغني فصار أصلا للفاقة، وعنه يتفرع المسكنة وغيرها من وجوه الحاجة[١].

ويمكن القول: إن لفظي الفقير والمسكين إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا.

الفقر المُوجِب للمسألة:

لكي يعيش الإنسان ويحيا لابد من إشباع حاجاته الضرورية حتى تستقيم الحياة، وهذا كله يتطلب وجود قدرة مالية؛ لأن الحاجات تتعدد وتتجدد، والفقراء والمساكين يعانون من عدم وجود هذه القدرة المالية أصلاً، أو بما يكفى لإشباع الحاجات الضرورية أو الأساسية.

ومن هنا شرع الإسلام الزكاة والتي مقصودها سد الحاجة أو الخلة، هذا وقد أجمع الفقهاء على «أن المقصود من الزكاة هو سد خلَّة المحتاج ودفع حاجته، والوصول به من حد الفقر والمسكنة إلى حد تحقيق الكفاية »[٢]. وهنا يأتي السؤال **ما هو الحد الذي يعتبر به الإنسان فقيرًا مستحقًا للزكاة[٣]؟**

---

(١) معالم السنن (٢/ ٦١) . وينظر: الأم للشافعي (٢/ ٧٧)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ١٩١)، تهذيب اللغة (٩/ ١٠٢)، معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٤٠٩)، التهذيب في فقه الإمام الشافعي (٥/ ١٨٩)، تفسير البغوي (٢/ ٣٦٠)، شرح السنة للبغوي (٦/ ٨٨)، نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (١/ ٢٣٠)، الروضة الندية شرح الدرر البهية ط المعرفة (١/ ٢٠٤) .

(٢) المبسوط (٣/٢٦٣، ٣٩٦، ٤/١٥٢)، فتح القدير (٤/٥٩)، بداية المجتهد (١/٢٠٣)، مطالب أولى النهى (١٣/٣)، حواشى الشبراوى (٣/٣٣١)، المجموع (٥/٤٣٠)، حاشيتا قليوبى وعميرة (٦/٢٤١) .

(٣) يشترط في الفقير الذي تعطى له الزكاة الشروط الآتية: ١- الإسلام: فلا يجوز صرف الزكاة إلى كافر باتفاق الفقهاء، ٢- أن لا يكون من بني هاشم، ٣- أن لا يكون رقيقًا؛ لأن نفقته واجبة على سيده فهو غني بغناه. الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢/ ٢٠٠) .

ذهب الحنفية إلى أن الفقير الذي يباح له السؤال وأخذ الزكاة هو: من يملك دون نصاب، من المال النامي، أو قدر نصاب غير نام مستغرق في حاجته[١].

وذهب المالكية إلى أن الفقير الذي يباح له السؤال وأخذ الزكاة هو: من يملك شيئا لا يكفيه قوت عامه[٢].

وذهب الشافعية والحنابلة إلى أن الفقير الذي يباح له السؤال وأخذ الزكاة هو: من لا يملك شيئًا البتة، أو يجد شيئا يسيرًا من مال أو كسب لا يقع موقعا من كفايته، كمن حاجته عشرة فلا يجد شيئًا أصلا، أو يقدر بماله وكسبه وما يأتيه من غلة وغيرها على أقل من نصف كفايته[٣].

هذا وقد صرح الفقهاء بأن الفقير إنما يخرج عن حد الفقر بوجود الكفاية فكل من وجد كفايته وكفاية من تلزمه مؤنته على الدوام إما ببضاعة يتجر فيها أو عقار يستغله أو صنعة يكتسب بها كفايته فهو غني لا يحل له أخذ الصدقة بالفقر؛ لوجود الكفاية وإن قصر ربح بضاعته أو دخل عقاره أو كسب صنعته عن قدر كفايته حلت له الصدقة بالفقر فيدفع إليه من الزكاة[٤].

الاستعاذة من فتنة الفقر:

استعاذ النبي ﷺ من فتنة الفقر وفتنة الغنى وقرنها بالشر كما في حديث عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَغْرَمِ وَالمَأْثَمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ وَعَذَابِ القَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٢٥٨)، رد المحتار (٢/ ٣٣٩) .

(٢) حاشية الدسوقي (١/ ٤٩٢)، منح الجليل (٢/ ٨٣) .

(٣) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١١/ ٦٠٤)، كفاية النبيه (٦/ ١٤٦)، المغني لابن قدامة (٢/ ٤٩٤)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٤/ ٦١٨) .

(٤) أسنى المطالب (١/ ٣٩٤)، الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣/ ٣١٦-٣١٨) .

الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[١].

قال ابن بطال: أما فتنة الغنى فيخشى منها بطر المال وما يَئُول من عواقب الإسراف في إنفاقه، وبذله فيما لا ينبغي، ومنع حقوق الله فيه، ففتنة الغنى متشعبة إلى ما لا يحصى عده، وكذلك فتنة الفقر يخشى منها قلة الصبر على الإقلال والتسخط له، وتزيين الشيطان للمرء حال الغنى وما يَئُول من عاقبة ذلك لضعف البشرية[٢].

وقال القاضي عياض: واستعاذته من فتنة الغنى وفتنة الفقر؛ لأنهما حالتان يخشى الفتنة معهما بالسخط وقلة الصبر، والوقوع بالضرورة فيما لا يحل عند الحاجة، وبالعجب والأشر والبطر، والبخل بحق المال عند الغنى، وإنفاقه في الإسراف وما لا يحل[٣].

وقال أبو العباس القرطبي: وشر فتنة الغنى: هي الحرص على الجمع للمال، وحبه حتى يكتسبه من غير حله، وبمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه. وشر فتنة الفقر- يعني به الفقر المدقع- الذي لا يصحبه صبر ولا ورع، حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الأديان، ولا بأهل المروءات، حتى لا يبالي بسبب فاقته على أي حرام وثب، ولا في أي ركاكة تورط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يرده ملك الدنيا بحذافيرها[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الدَّعَوَاتِ - بَابُ الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى (٨/٨٠- رقم ٦٣٧٦)، وفي كِتَاب الدَّعَوَاتِ- بَاب التَّعَوُّذ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ (٨/ ٨١ – رقم ٦٣٧٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ - بَاب التَّعَوُّذ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ وَغَيْرِهَا (٤/ ٢٠٧٨- رقم ٤٩/ ٥٨٩) .

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١١٩) .

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٢٠٢) .

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٧/ ٣٣) .

وقال ابن حجر: وَالتَّقْيِيدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ بِالشَّرِّ لَا بُدَّ مِنْهُ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا فِيهِ خَيْرٌ بِاعْتِبَارٍ، فَالتَّقْيِيدُ فِي الِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ بِالشَّرِّ يُخْرِجُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ سَوَاءٌ قَلَّ أَمْ كَثُرَ(١).

وقَالَ الْخَطَّابِيُّ: إِنَّمَا اسْتَعَاذَ ﷺ مِنَ الْفَقْرِ الَّذِي هُوَ فَقْرُ النَّفْسِ لَا قِلَّةُ الْمَالِ. قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ تَكُونُ اسْتِعَاذَتُهُ مِنْ فَقْرِ الْمَالِ وَالْمُرَادُ الْفِتْنَةُ فِي عَدَمِ احْتِمَالِهِ وَقِلَّةِ الرِّضَا بِهِ(٢).

وكان من دعاء النبي ﷺ عند النوم: "اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ(٣)".

وقرن النبي ﷺ الفقر بالكفر؛ فقد كان النبي ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ(٤)".

قال الشيخ علي القاري: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر) أي من أنواعه (والفقر) أي فتنته أو فقر القلب المؤدي إلى كفران النعمة، وفي اقترانه بالكفر إشارة إلى ما ورد: "كاد الفقر أن يكون

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧٧) .

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٨) .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ (٤/ ٢٠٨٤- رقم ٢٧١٣/٦١- رقم ٢٧١٣/٦١) .

(٤) أخرجه النسائي في سننه: كِتَابُ السَّهْوِ- بَابُ التَّعَوُّذِ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ (٣/ ٧٣- رقم ١٣٤٧)، وأحمد في مسنده (٣٤/ ١٧- رقم ٢٠٣٨١)، وابن خزيمة في صحيحه: كِتَابُ الصَّلَاةِ- بَابُ التَّعَوُّذِ بَعْدَ السَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ (١/ ٣٦٧- رقم ٧٤٧)، والحاكم في: المستدرك على الصحيحين: كِتَاب الْإِيمَانِ (١/ ٩٠- رقم ٩٩) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَقَدِ احْتَجَّ مُسْلِمٌ بِعُثْمَانَ الشَّحَّامِ» ووافقه الذهبي في التلخيص. قلت الحديث إسناده حسن من أجل عثمان الشحام: قال ابن حجر في تقريب التهذيب (ص: ٣٨٧): صدوق.

كفرا[١]"، حيث لم يكن راضيًا بما قسم الله له وشاكرًا لما أنعم عليه (وعذاب القبر) أي الذي منشأه الكفر والكفران[٢].

إشكال وجوابه:

كيف استعاذ النبي ﷺ من الفقر، وَسَأَلَ الْمَسْكَنَةَ؟

فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ" .

أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ (٤/ ١٥٥ – رقم ٢٣٥٢) وقال: حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

والبيهقي في السنن الكبرى، كِتَابُ قَسْمِ الصَّدَقَاتِ، بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْفَقِيرَ أَمَسُّ حَاجَةً مِنَ الْمِسْكِينِ (٧/ ١٨- رقم ١٣١٥٢)، وقال: " قَالَ أَصْحَابُنَا: فَقَدِ اسْتَعَاذَ مِنَ الْفَقْرِ وَسَأَلَ الْمَسْكَنَةَ، وَقَدْ كَانَ لَهُ بَعْضُ الْكِفَايَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمِسْكِينَ مَنْ لَهُ بَعْضُ الْكِفَايَةِ" قَالَ الشَّيْخُ: قَدْ رُوِيَ فِي حَدِيثِ شَيْبَانَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنَ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

---

(١) أ- جاء من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٢٠٦) وقال: مَعْمَرُ بْنُ زَائِدَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، وَلَا يُتَابَعُ عَلَى حَدِيثِهِ، والطبراني في الدعاء: بَابُ الدُّعَاءِ لِلْفَقْرِ وَالسَّقَمِ (ص ٣١٩- رقم ١٠٤٨) .

ب- جاء من رواية أنس بن مالك: أخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٢٠٦)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٩/ ٩٤)، والشهاب القضاعي في مسنده (١/ ٣٤٢- رقم ٥٨٦)، والبيهقي في شعب الإيمان: الحث على ترك الغل والحسد (٩/ ١٢- رقم ٦١٨٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، كتاب الزهد (٢/ ٣٢٠- رقم ١٣٤٦) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ لا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ويزيد الرقاشي لا يعول على ما يروي، وذكره البوصيري في: إتحاف الخيرة المهرة: كِتَابُ الْأَدَبِ وَغَيْرِهِ- بَابٌ فِي الْحَسَدِ وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ (٦/ ٧٧- رقم ٥٣٨٢) وقال: هَذَا إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ؟ لِضَعْفِ يَزِيدَ بْنِ أَبَانَ الرَّقَاشِيِّ.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٥/ ١٧١٩) .

اسْتِعَاذَتُهُ مِنَ الْحَالِ الَّتِي شَرَّفَهَا فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ، وَلَا مِنَ الْحَالِ الَّتِي سَأَلَ أَنْ يُحْيَى وَيُمَاتَ عَلَيْهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَسْأَلَتُهُ مُخَالِفَةً لِمَا مَاتَ ﷺ عَلَيْهِ، فَقَدْ مَاتَ مَكْفِيًّا بِمَا أَفَاءَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَوَجْهُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عِنْدِي، وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ اسْتَعَاذَ مِنْ فِتْنَتِهِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ اللَّذَيْنِ يَرْجِعُ مَعْنَاهُمَا إِلَى الْقِلَّةِ كَمَا اسْتَعَاذَ مِنْ فِتْنَةِ الْغِنَى.

وفي شعب الإيمان (٣/ ٥٠- رقم ١٣٨٠) وقَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَصَحُّ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ إِسْنَادٌ فِي مَعْنَاهُ، وروى حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، وهو عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا"(١).

كلاهما (الترمذي، والبيهقي - في السنن الكبرى وشعب الإيمان -) من طريق ثَابِت بْن مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيّ، عن الْحَارِث ابْن النُّعْمَانِ اللَّيْثِيّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤٢) من طريق الترمذي، وقال: [قَالَ الْبُخَارِي: الْحَارِث بن النُّعْمَان مُنكر الحَدِيث] .

وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ط الفكر (٦/ ٥٠) وقال: "فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ وَفِي مَتْنِهِ نَكَارَةٌ وَاللهُ أَعْلَمُ".

وذكره ابن الملقن في البدر المنير (٧/ ٣٦٧ – ٣٧٠) وقال: [وضعيف أيضا قال: في إسناده الحارث بن النعمان الليثي ابن أخت سعيد بن جبير، قال أبو حاتم فيه: ليس بالقوي. وقال البخاري: منكر الحديث. قلت: لكن له شاهد من حديث أبي سعيد الخدري رواه ابن ماجه في أبواب الزهد من «سننه» في باب مجالسة الفقراء ... وإسناده أيضًا ضعيف؛ لأنه من رواية يزيد بن سنان الرهاوي - وقد ضعفوه - عن أبي المبارك - وهو مجهول، كما قاله أبو حاتم الرازي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ (٢/ ٧٣٠- رقم ١٢٦/ ١٠٥٥) .

والترمذي، لكن ذكره ابن حبان في الثقات – عن عطاء، عن أبي سعيد عنه. وغلا ابن الجوزي فذكر حديث أبي سعيد هذا وحديث أنس السالف في «موضوعاته» وعلله بما ذكرناه ولم يذكر توثيق (أبي) المبارك، وإنما اقتصر على من جهله، والحق أن يذكر في الأحاديث الضعيفة، ...

قلت: لكن هذا مختلف فيه، والأكثرون على تضعيفه، وله (شاهد) من حديث عبادة بن الصامت قال: «كان رسول الله – ﷺ – يقول: اللهم أحيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين» رواه البيهقي ... ثم قال: ووجه هذه الأحاديث عندي – والله أعلم– أنه استعاذ من فتنة الفقر والمسكنة اللذين يرجع معناهما إلى القلة كما استعاذ من فتنة الغنى. قال: وذلك بين، ثم روى بإسناده حديث عائشة السالف، ثم قال: وفيه دلالة على أنه إنما استعاذ من فتنة الفقر دون حال الفقر، ومن فتنة الغنى دون حال الغنى. قال: وأما قوله: «أحيني مسكينا وأمتني مسكينا» فهو إن صح طريقه ففيه نظر، فالذي يدل عليه حاله عند وفاته أنه لم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة إنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع فكأنه عليه السلام سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء (المسرفين)] .

وذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ١٥٤٥) وقال: [رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ من حَدِيث أنس وَحسنه، وَابْن مَاجَه وَالْحَاكِم وَصَححهُ من حَدِيث أبي سعيد وَقد تقدم] .

وذكره ابن حجر في وقال: [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَتَمَّ مِنْهُ أَيْضًا وَاسْتَغْرَبَهُ وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَفِي إسْنَادِهِ ضَعْفٌ أَيْضًا، وَلَهُ طَرِيقٌ أُخْرَى فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ حَدِيثِ عَطَاءٍ عَنْهُ وَطَوَّلَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ] . ثم قال ابن حجر: [تَنْبِيهٌ: أَسْرَفَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ، وَكَأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَيْهِ لَمَّا رَآهُ مُبَاينًا لِلْحَالِ الَّتِي مَاتَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مَكْفِيًّا وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَوَجْهُهُ عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ حَالَ الْمَسْكَنَةِ الَّتِي يَرْجِعُ مَعْنَاهَا إلَى الْقِلَّةِ، وَإِنَّمَا سَأَلَ الْمَسْكَنَةَ الَّتِي يَرْجِعُ مَعْنَاهَا إلَى الْإِخْبَاتِ وَالتَّوَاضُعِ. قَوْلُهُ: يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْفَقِيرَ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ الْمِسْكِينِ بِمَا نُقِلَ الْفَقْرُ فَخْرِي وَبِهِ أَفْتَخِرُ،

وَهَذَا الْحَدِيثُ سُئِلَ عَنْهُ الْحَافِظُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَقَالَ: إِنَّهُ كَذِبٌ لَا يُعْرَفُ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ المسلمين المروية وجزم الصغاني بِأَنَّهُ مَوْضُوعٌ][1].

وللحديث شواهد:

شاهد من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، بَابُ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ (٥/ ٢٤٠ح رقم ٤١٢٦) . وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١٤١) وقال: [هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَنْ رَسُول الله ﷺ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ: أَبُو مبارك رجل مَجْهُول. قَالَ يَحْيَى بْن معِين: وَيزِيد بْن سِنَان لَيْسَ بشئ، وَقَالَ ابْن الْمَدِينِيّ: ضَعِيف الْحَدِيث، وَقَالَ النَّسَائِيّ: مَتْرُوك الْحَدِيث] . كلاهما (ابن ماجه، وابن الجوزي) من طريق يَزِيدَ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ، عن عطاء، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ". بسند ضعيف؛ فيه: يزيد بن سنان -وهو أبو فروة الرهاوي- ضعيف، وأبو المبارك مجهول.

والحاكم في المستدرك، كتاب الرقاق (٤/ ٣٥٨ح رقم ٧٩١١) من طريق يَزِيد بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ الدِّمَشْقِيّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ. وقال: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، ووافقه الذهبي.

وشاهد من حديث عُبَادَة بْن الصَّامِتِ ﷺ:

أخرجه الطبراني في الدعاء (ص: ٤٢٢ح رقم ١٤٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، كِتَابُ قَسْمِ الصَّدَقَاتِ، بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْفَقِيرَ أَمَسُّ حَاجَةً مِنَ الْمِسْكِينِ (٧/ ١٨ح رقم ١٣١٥١) كلاهما

---

(١) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٨٩م. (٣/ ٢٤٠) .

من طريق هِقْل بْن زِيَادٍ، عن عَبْد اللهِ بْن زِيَادٍ، عن جُنَادَة بْن أَبِي أُمَيَّةَ، عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٦٢) وقال: "رواه الطبراني، وفيه بقية بن الوليد، وقد وثق على ضعفه، وشيخ الطبراني، وعبيد الله بن زياد الأوزاعي لم أعرفهما، وبقية رجاله ثقات". وقال العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٠٥): رواه الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات. قلت: ومن عرف حجة على من لم يعرف.

وللحديث شاهد بالمعنى من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ (٢/ ٧٣٠ح رقم ١٠٥٥) . أخرجه الإمام مسلم بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا".

والخلاصة: أن مجموع طرق الحديث وشواهده تدلّ على أن للحديث أصلا، والحديث بمجموعها يصير حسنًا لغيره. والله أعلم.

قال ابن قتيبة: وَقَدْ غَلَطُوا فِي التَّأْوِيلِ، وَظَلَمُوا فِي الْمُعَارَضَةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَارَضُوا الْفَقْرَ بِالْمَسْكَنَةِ، وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ، وَلَوْ كَانَ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي فَقِيرًا، وَأَمِتْنِي فَقِيرًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْفُقَرَاءِ" كَانَ ذَلِكَ تَنَاقُضًا، كَمَا ذَكَرُوا.

وَمَعْنَى الْمَسْكَنَةِ فِي قَوْلِهِ: "احْشُرْنِي مِسْكِينًا" التَّوَاضُع والإخبات. كَأَنَّهُ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى، أَنْ لَا يَجْعَلَهُ مِنَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ، وَلَا يَحْشُرَهُ فِي زُمْرَتِهِمْ[1].

قلت: وتوجيه معنى الحديث مما سبق ذكره من أقوال العلماء: أنه ﷺ لم يسأل ربه ﷻ حال المسكنة التي يرجع معناها إلى القلة، إنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع،

---

(١) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٤٧) .

فكأنه ﷺ سأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين المتكبرين وأن لا يحشره في زمرة الأغنياء المسرفين.

آثار الفقر المستعاذ منه ومآلاته:

للفقر المدقع آثاره السيئة، وأضراره الجسيمة على العقيدة والأخلاق والقيم والسلوكيات والأُسر، لا سيما إذا لم يكن لدى الفقير وازع ديني يحول بينه وبين التغلب على الفقر عن طريق الحرام، ومن أهم هذه الآثار السيئة للفقر المدقع:

١- الكفر:

يُعد الفقر مصيبة يُطلب دفعها، ويُستعاذ بالله من شرها؛ فهو خطر على العقيدة والإيمان، فكم من إنسان انسلخ من دينه من أجل دفع الفقر والحصول على المال، وقد استعاذ المصطفى ﷺ من الفقر، وقرن بينه وبين الكفر في سياق واحد، فكان يَقُولُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ[(١)]".

قال المناوي: قرن الفقر بالكفر لأنه يحمل على حسد الأغنياء، والحسد يأكل الحسنات، وعلى التذلل لهم بما يدنس به عرضه، ويلثم به دينه، وعلى عدم الرضا بالقضاء وتسخط الرزق، وذلك إن لم يكن كفرا فهو جار إليه[(٢)]. وقال العيني: لأنه ربما يحمله الفقر على مباشرة ما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ويهجم على أي حرام كان ولا يبالي وربما يحمله على التلفظ بكلمات تؤديه إلى الكفر[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه في مسألة الاستعاذة من فتنة الفقر.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٤٢).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٥).

كما بين النبي ﷺ أن الطمع في المال يدفع الإنسان إلى بيع دينه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(١).

ولقد استطاع أصحاب العقائد الباطلة والأفكار الهدامة أن يتغلغلوا في بلاد المسلمين مستغلين فقرهم وقلة ذات يدهم، وضعفهم، وأمراضهم، ولا ننسى أن قريشا بعد أن عجزت عن الإيذاء الجسدي، لجأت إلى الحصار الاقتصادي الذي فرضته على رسول وصحابته والذي استمر ثلاث سنوات في شعب أبي طالب في محاولة فاشلة لجعل هؤلاء المسلمين يرتدّون عن دينهم، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل الذريع؛ فقد صبر النبي وصحابته وقدموا نموذجًا فريداً لثبات المسلم على عقيدته ضد الكفر والفقر.

ولقد اتخذ المنصرون الفقر كوسيلة من أقوى الوسائل التي تعينهم على إنجاز مهمتهم في تنصير إفريقيا الفقيرة؛ مستغلين الظروف القاسية التي يعيشها الكثير من السكان والفقر القاتل، ولقد وجدت هذه الإرساليات التنصيرية تجاوبًا كبيراً من المجتمع بسبب عوامل الفقر والجهل والمرض.

ومن الأساليب التي اتخذها المنصرون في هذا الجانب: إقامة ملاجئ لإيواء الأطفال الفقراء والأيتام. وذكر المنصّر (المردوفلاس) أن ملاجئ كهذه أقيمت في الجزائر والمغرب في شمال أفريقيا، وأنها وإن لم تجعل الأطفال المسلمين نصارى، لكنها لم تبقهم مسلمين كآبائهم(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ - بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ (١/ ١١٠- رقم ١١٨/١٨٦) .

(٢) التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، الزهراء للإعلام العربي- قسم النشر، ط١، ١٩٩١م، ص٢٤.

وفي الصومال وحدها قام منصر بلجيكي بتبني ما يبلغ مجموعهم "٣٠٩٠٢" طفلاً من أطفال المسلمين[١].

وهناك صندوق إغاثة الأطفال المنكوبين تعمل بنشاط في جمع أكبر عدد من الأطفال الصوماليين وتغريبهم إلى البلدان الأوروبية[٢].

ولا ينبغي أن ينسى ما حصل في السنغال المسلمة في أوائل هذا القرن الميلادي من إبرام البعثات التنصيرية عقودا مع الأسر الفقيرة، تقدّم بموجبها إلى هذه الأسر مساعدات عينية رمزية من أرز ونحوه شهريًا، على أن يكون للبعثة حق اختيار واحد من أطفال الأسرة المعنية دون الخامسة من العمر، تقوم بتربيته تربية نصرانية، ثم ترسله إلى فرنسا ليكمل تعليمه العالي، قبل أن يُعاد إلى البلاد ليقوم بتنفيذ ما يرسم له من أهداف تنصيرية أو استعمارية[٣].

٢- انتشار الفواحش والجرائم:

إذا كان الفقر يدفع الإنسان أحيانًا إلى الكفر وبيع دينه، فلا يستبعد أن يدفعه إلى الجرائم والفساد، كالقتل والسرقة والرشوة والكذب وشرب الخمر وبيع المحرمات، بل ربما امتد به هذا إلى المتاجرة بعرضه لسد حاجته وجبر فقره، ولا شك أن لتلك الأمور أثرها السيئ على الفرد والمجتمع.

---

(١) الجذور التاريخية، خالد محمد نعيم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- لقاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٦.

(٢) التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سيد أحمد يحيى، دار العمير للثقافة والنشر، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص ٨٢.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمرو فروخ، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط٥، ١٩٧٣م، ص ٣.

والواقع الملموس يشهد بأنه من الفقراء من ارتمى في أحضان الجماعات التكفيرية وشكل رأس حربة على دينه وأبناء وطنه تارة بسبب جهله، وحبه الفطري للدين، وتارة من أجل المال، ولو وجدوا ما يسد حاجاتهم ويكفيهم لتركوا هذا الطريق.

وكم من امرأة انحرفت بسبب عدم وجود من يكفلها أو يُقرضها فتاجرت بعرضها، وتمرست على ذلك، وليس أدل على ذلك من حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ صَالِحَةً، فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يَفْرُجُهَا... فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ المِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا[1].

يفهم مما سبق أن الفقر المُدقع مجمع البلايا والشرور، فهذا الحديث الصحيح يدل على أن كثيراً من أهل المعاصي لم يبدأو في طريق الحرام إلا بسبب عدم وجود اليد الحانية التي تكفلهم، فهذه المرأة اضطرت أن تتخلى عن عفتها وشرفها من أجل حاجتها للمال، والمتاجرة بالعرض شيء سخيف جداً، وبشع للغاية، والمرأة البغي لا تشعر بأي متعة في هذا، لكن من يكفلها ويأخذ بيدها إلى طريق الله؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٤/ ١٧٢- رقم ٣٤٦٥)، وفي كِتَاب الأَدَبِ- بَابُ إِجَابَةِ دُعَاءِ مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ (٨/ ٣- رقم ٥٩٧٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الرِّقَاقِ-- بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْغَارِ الثَّلَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ (٤/ ٢٠٩٩- رقم ٢٧٤٣/١٠٠) كلاهما (البخاري ومسلم) من حديث ابْنِ عُمَرَ ﷺ.

ومن ثم أجاز العلماء اعطاء الزكاة – فضلاً عن الصدقة – لأهل المعاصي، ويدل على هذا حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ[1]".

فالتصدق على أهل المعاصي والإحسان إليهم قد يحول قلوبهم بإذن الله إلى طريقه، فكم من رجالٍ هم الآن صفوة الرجال كانوا من ألد أعداء هذا الدين. وسهم المؤلفة قلوبهم أخذ منه كثير من الصحابة الذين تألف النبي ﷺ قلوبهم بالمال، ثم حسن إسلامهم.

٣- تفكيك الأسرة وانتشار الطلاق:

إن الزواج من أعظم النعم التي امتن الله بها على الرجال والنساء على حد سواء، فأمر الإسلام به، وحث النبي ﷺ عليه، وجعله من سنته، ونهى عن التبتل والرهبانية . وأرشدنا إلى عدم المغالاة في المهور؛ تيسيرا للشباب على الزواج، إلا أن الكثير من شباب الأمة الآن لا يستطيع الزواج بسبب فقره تارة، وبسب مغالاة الآباء والأمهات في المهور تارة أخرى، حتى رأينا الكثير من فتيات الأمة فاتهن ركب الزواج، وأصبح الشاب يُفني زهرة عمره، وأحلى أيام شبابه في محاولة جمع تكاليف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ (٢/ ١١٠- رقم ١٤٢١)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ ثُبُوتِ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا (٢/ ٧٠٩- رقم ١٠٢٢/٧٨) .

الزواج؛ ليحصن نفسه، وربما حال الفقر بينهم وبين النجاح في ذلك، وإذا تمكن من إقامة وتكوين أسرة فإن الفقر يحول دون استمرارها، فما حصلت الكثير من المشكلات الأسرية، وارتفعت نسب الطلاق في كثير من المجتمعات إلا بسبب عجز الزوج عن تدبير الاحتياجات الضرورية لمن يعول، فتطالب الزوجة بالطلاق، فتتفكك الأسرة، ويقع الأولاد فريسة في أيدي قرناء السوء.

بل إن الفقر دفع بعض الآباء أن يقتل ولده خشية الفقر، أو بسبب الفقر قال تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء: ٣١]، وقال تعالى ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١] فقوله تعالى (خَشْيَةَ إِمْلاقٍ) هذا في الفقر المتوقع في المستقبل، وقوله تعالى (مِنْ إِمْلاقٍ) هذا في الفقر الواقع بالفعل. وفي زماننا هذا أصبحنا نرى ونسمع عمن يقتل أولاده، أو يلقيهم أمام باب مسجد أو ملجأ حين ترهقه نفقتهم.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» وَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيَةَ[(١)].

بل ربما كان الفقر سببًا في مأساة، وأن يبلغ العقوق منتهاه فيقتل الولد والده أو أمه، أو يُودعهم في دار مُسنين بسبب المال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الأَدَبِ- بَابُ قَتْلِ الوَلَدِ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ (٨/ ٨- رقم ٦٠٠١)، وفي كِتَاب الحُدُود- بَاب إِثْمِ الزُّنَاةِ (٨/ ١٦٤- رقم ٦٨١١)، وفي كِتَاب التَّوْحِيدِ- بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] (٩/ ١٥٢- رقم ٧٥٢٠)، وفي كِتَاب التَّوْحِيدِ- بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالاَتِهِ) (٩/ ١٥٥- رقم ٧٥٣٢)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ: بَابُ كَوْنِ الشِّرْكِ أَقْبَحَ الذُّنُوبِ، وَبَيَانِ أَعْظَمِهَا بَعْدَ (١/ ٩٠- رقم ٨٦/١٤١)، (١/ ٩١- رقم ٨٦/١٤٢) .

علاج الفقر في ضوء السنة النبوية:

في الوقت الذي يتزايد فيه أعداد الفقراء، وتتفاقم فيه المشكلات الاقتصادية، فإن وجدان الأمة وعقلها يلتفتان نحو المنهج النبوي الذي جاء بعلاج العديد من القضايا في شتى المجالات، ومختلف نواحي الحياة، ومن أهمها قضية الفقر، إلا أن البعد عن تطبيق الهدي النبوي كان سببا وراء انتشار ظاهرة الفقر، مما حدا بالباحثين للحديث عن علاج الإسلام للفقر، وعقد المؤتمرات من أجل تلمس إمكانية وضع حلول ناجعة، ومن ثم فنتحدث في هذا المبحث عن علاج الفقر في ضوء السنة النبوية، وأعني بذلك ما سوى الاستعاذة من الفقر؛ فقد سبق الحديث عنها.

١- الحث على العملِ، ونبذ العجزِ والكسلِ:

إن قيمة المجتمعات وتقدمها تُقاس بقدر ما هي عليه من العمل والإنتاج، ومن ثم تضافرت الكثير من النصوص في الكتاب والسنة تحث على العمل وتبين فضله وبركته، والاستغناء به عما في أيدي الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ [الملك: ١٥] . وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة: ١٠]، فنرى أن القرآن وجهنا إلى العمل عقب الفراغ من العبادات حتى لا تتخذ مجالًا للكسل والقعود عن طلب لقمة العيش. قال البغوي: أي: إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم.

فلا بد لنا أن نزرع وأن نصنع ونحترف الحرف المختلفة ونتاجر، وهذه كلها أعمال باركها الإسلام.

فالإسلام حث على الزراعة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ[(١)]» .

وعَنْ جَابِرِ بن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً[(٢)]».فهل هناك أكثر من هذا في الحث على زراعة الأرض واستثمارها؟

وحث على الصناعة، وقد ذكر القرآن لنا عدة صناعات، منها صناعة السفن كما فعل نوح عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [هود: ٣٨] .

وقد كان زكريا عليه السلام نجارا فعن أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا[(٣)]».

وإبراهيم عليه السلام كان يتقن صنعة البناء فبني هو وابنه إسماعيل البيت، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

وداود عليه السلام كان يتقن صناعة الدروع الحربية التي تقي المقاتلين من سهام العدو، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب المُزَارَعَةِ- بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ (٣/ ١٠٣- رقم ٢٣٢٠)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ- بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ (٣/ ١١٨٩- رقم ١٥٥٣/١٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ- بَابُ فَضْلِ الْغَرْسِ وَالزَّرْعِ (٣/ ١١٨٨- رقم ١٥٥٢/٧) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْفَضَائِلِ- بَابٌ فِي فَضَائِلِ زَكَرِيَّاءَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤/ ١٨٤٧- رقم ٢٣٧٩/١٦٩) .

ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] .

قال الإمام القرطبي: "هَذِهِ الْآيَةُ أَصْلٌ فِي اتِّخَاذِ الصَّنَائِعِ وَالْأَسْبَابِ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابِ، لَا قَوْلُ الْجَهَلَةِ الْأَغْبِيَاءِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا شُرِعَ لِلضُّعَفَاءِ، فَالسَّبَبُ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ فَمَنْ طَعَنَ فِي ذَلِكَ فَقَدْ طَعَنَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَسَبَ مَنْ ذَكَرْنَا إِلَى الضَّعْفِ وَعَدَمِ الْمِنَّةِ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ دَاوُدَ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَصْنَعُ الدُّرُوعَ، وَكَانَ أَيْضًا يَصْنَعُ الْخُوصَ، وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَكَانَ آدَمُ حَرَّاثًا، وَنُوحٌ نَجَّارًا وَلُقْمَانُ خَيَّاطًا، وَطَالُوتُ دَبَّاغًا. وَقِيلَ: سَقَّاءً، فَالصَّنْعَةُ يَكُفُّ بِهَا الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ، وَيَدْفَعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ الضَّرَرَ وَالْبَأْسَ[(١)]".

فداود عليه السلام مع أن الله تبارك وتعالى آتاه العلم والملك والحكمة لم يكن يأكل من مُلكه بل من عمل يده. فعَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ[(٢)]».

وعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ عليه السلام، كَانَ لاَ يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ[(٣)]».

ورسولُنَا ﷺ تاجر بمال أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ورعَى الغنمَ لأهلِ مكةَ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ[(٤)]».

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٣٢١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ- بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ (٣/ ٥٧- رقم ٢٠٧٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ- بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ (٣/ ٥٧- رقم ٢٠٧٣) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الإِجَارَةِ- بَابُ رَعْيِ الغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطَ (٣/ ٨٨- رقم ٢٢٦٢) .

والصحابة رضوان الله عليهم كان منهم التاجرُ والصانعُ والمزارع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى﴾ [البقرة: ١٥٩] إِلَى قَوْلِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] **إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ**، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ[(١)] ".

وعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ: اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَكَأَنَّهُ كَانَ مَشْغُولًا، فَرَجَعَ أَبُو مُوسَى، فَفَرَغَ عُمَرُ، فَقَالَ: أَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ ائْذَنُوا لَهُ، قِيلَ: قَدْ رَجَعَ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: «كُنَّا نُؤْمَرُ بِذَلِكَ»، فَقَالَ: تَأْتِينِي عَلَى ذَلِكَ بِالْبَيِّنَةِ، فَانْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِ الأَنْصَارِ، فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: لاَ يَشْهَدُ لَكَ عَلَى هَذَا إِلَّا أَصْغَرُنَا أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، فَذَهَبَ بِأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ **أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ يَعْنِي الخُرُوجَ إِلَى تِجَارَةٍ**[(٢)] .

ومع دعوة الإسلام للعمل وأن يؤدي العامل المطلوب منه كما ينبغي، حذر أصحاب العمل من أكل حق العامل وأمرهم أن يعطيه أجره كاملا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: صحيح البخاري (١/ ٣٥ –رقم ١١٨) كِتَابُ العِلْمِ- بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، ومسلم في صحيحه: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤/ ١٩٣٩- رقم ٢٤٩٢/١٥٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ - بَابُ الخُرُوجِ فِي التِّجَارَةِ (٣/ ٥٥- رقم ٢٠٦٢)، وفي كِتَاب الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- بَابُ الحُجَّةِ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ أَحْكَامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ ظَاهِرَةً، وَمَا كَانَ يَغِيبُ بَعْضُهُمْ مِنْ مَشَاهِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمُورِ الإِسْلاَمِ (٩/ ١٠٨ – رقم ٧٣٥٣) .

تَعَالَى: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ[١]».

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ[٢]».

فإعطاء كل ذي حق حقه هو مما أوجبه الله على عباده، فليتق الله أصحاب الشركات والمؤسسات الذين يستأجرون الأجراء ويماطلونهم ولا يعطونهم حقوقهم، فكم رأينا شبابا سافر إلى بلد من البلدان ليعمل بأجر معلوم متفق عليه، وعندما يصل يعطيه صاحب العمل أقل من المتفق عليه، فيجد هذا الرجل نفسه مضطراً إلى أن يعمل بهذا المبلغ؛ لشدة حاجته إلى المال، ولأنه ربما اقترض ثمن التذكرة وثمن عقد العمل، ولا يستطيع أن يرجع، فالله ورسوله خصم لهذا الرجل.

كما أنه يجب على صاحب العمل أن يحترم قدر عامله، ويتلطف معه، ولا يحمله فوق طاقته، ولا يؤذيه بقول أو فعل، فكم رأينا أصحاب عمل يضربون أطفالا اضطرهم الفقر للعمل في سن مبكرة، أو يهينون رجلا مسنا يعمل عندهم، فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ»، أَوْ «لَمَسَّتْكَ النَّارُ». وفي رواية قَالَ: فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا[٣].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الإِجَارَةِ- بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ أَجْرَ الأَجِيرِ (٣/ ٩٠- رقم ٢٢٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ٨١٧- رقم ٢٤٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْأَيْمَانِ- بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ (٣/ ١٢٨٠- رقم ١٦٥٩/٣٤)، (٣/ ١٢٨١- رقم ١٦٥٩/٣٥).

الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1]».

نبذ العجز والكسل ومحاربة التسول:

ومع دعوة الإسلام إلى العمل حذر من البطالة والكسل، فالنفس البشرية لا بد لها من شغل وعمل، فإن لم نشغل أنفسنا بطاعة الله شغلتنا بغير ذلك، فالفراغ نعمة لمن أحسن استغلاله، واستثمر أيامه، ونقمة لمن جعله سبيلا للبطالة والكسل، ولم يكن الآباء والأجداد يعرفون للفراغ سبيلا؛ فالواحد منهم مذ صغره يساعد أهله في تأمين لقمة العيش، على عكس الشباب الآن الذين يملكون من الوقت الكثير لا سيما في الإجازة الدراسية، ومع ذلك لم يستثمروا الوقت كما ينبغي، فقادهم الفراغ إلى التسول، والوقوع في كثير الجرائم والعادات السيئة المخلة بالدين والشرف.

فلا يليق بالرجل القادر على الكسب أن يكون عالة على أهله ومجتمعه؛ فالمجتمع المسلم الآن يعاني من بطالة مصطنعة، تسبب فيها الكثير من الآباء بتربية أولادهم على الاتكالية والكسل، والسعي فقط لنيل الأعمال الإدارية، والوظيفة الحكومية، فعلى الإنسان أن يسعى لرزقه ويأخذ بالأسباب، فالرزق ليس مرتبطًا بالشهادة الدراسية، فكم من رجل أُمِّي يملك أموالا طائلة من جده وسعيه، وكم من شباب يمتلكون أجسامًا قوية، وسواعد فتية، تقدر على العمل والإنتاج، يتنقلون بين الجمعيات الخيرية طلبا للمساعدة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا، فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ[1]».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَ (٤/ ٢٠٠٦- رقم ٢٥٩٨/٨٥).

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ[٢]».

فالاحتطاب عمل شاق وعسير إلا أنه خير من الكسل وسؤال الناس.

ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ القدوة الحسنة فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَثْنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا سُقْتَ إِلَيْهَا؟ » قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ - قَالَ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[٣]».

فرغم سماحة سعد رضي الله عنه، تعفف عبد الرحمن بن عوف عن مال أخيه، ثم سعى في التجارة فبارك الله له وفتح عليه بها، فتزوج بعد ذلك، ثم أصبح من تجار المدينة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ (٢/ ١٢٣- رقم ١٤٧٠)، وفي بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] وَكَمُ الغِنَى (٢/ ١٢٥- رقم ١٤٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ (٢/ ١٢٣ – رقم ١٤٧١) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ - بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] (٣/ ٥٣- رقم ٢٠٤٩)، وفي كتاب مناقب الأنصار- بَابٌ: كَيْفَ آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ (٥/ ٦٩- رقم ٣٩٣٧)، وفي كِتَاب النِّكَاحِ- بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِأَخِيهِ: انْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ شِئْتَ حَتَّى أَنْزِلَ لَكَ عَنْهَا؟ (٧/ ٤- رقم ٥٠٧٢)

وها هو رسول الله ﷺ يوضح لحكيم بن حزام رضي الله عنه أن اليد المنتجة العاملة المنفقة خير من اليد الآخذة فعن حَكِيم بْن حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ[(١)].

وقال الراغب الأصفهاني: من تعطل وتبطل انسلخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس الموتى[(٢)].

٢- المواساة عند الفاقة:

إن من أعظم الأخلاق التي غفل الكثير عنها، مع أنها طريق من طرق الجنة؛ خلق المواساة، وهو الإحساس بآلام الناس، ومواساتهم في مصابهم، والوقوف بجانبهم في الشدائد والأزمات، وهو محمدة إسلامية، وصفة أصيلة في المسلم الصادق لا ينفك عنها ولا تنفك عنه، تدل على سمو النفس، ورقة القلب، وسلامة الصدر، ورجاحة العقل، وأصالة المعدن. ومن ثم حث الإسلام على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المَسْأَلَةِ (٢/ ١٢٣ – رقم ١٤٧٢)، وفي كِتَاب الرِّقَاقِ- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا المَالُ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ» (٨/ ٩٣- رقم ٦٤٤١).

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٦٩).

التعاون بين المسلمين بصفة عامة، وفي الأزمات بصفة خاصة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢] .

والتعاون يحقق للمجتمع مصالحه الدينية والدنيوية؛ فمن أهم سِمات المُجتمعات الراقية أن تكون مترابطة، يشد بعضها بعضًا، فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا[(١)]».

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى[(٢)]».

ومن أعان أخاه المسلم أعانه الله، فعَن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ[(٣)]».

قال الإمام النووي: «وَفِيهِ فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ وَنَفْعِهِمْ بِمَا تَيَسَّرَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفَضْلُ السِّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ[(٤)]».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَاب- بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩- رقم ٢٥٨٥/٦٥) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَاب- بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ (٤/ ١٩٩٩- ٢٥٨٦/٦٦) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ- بَابٌ لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ (٣/ ١٢٨- رقم ٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (٤/ ١٩٩٦ – رقم ٢٥٨٠/٥٨) .

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢١) .

والمواساة صفة من صفات سيد المرسلين ﷺ؛ فقد كان من هديه ﷺ أنه يعين على نوائب الحق، أي يساعد الناس في الأزمات والنكبات، فعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، .... فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ﵂، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ...[1]، أي تُعين غيرك على نوازل الزمان، والذي يعين إخوانه ويساندهم في الأزمات لن يتعرض في مستقبله لسوء؛ لأن صنائع المعروف تقي مصارع السوء.

وامتدح النبي ﷺ الصديق بقوله: «إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي[2]».

وبهذا أيضا امتدح ابن الدغنة الصديق ﵁ لما قابله مهاجرا إلى الحبشة، فعن عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ القَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ -كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ (١/ ٧- رقم ٣)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ- بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحيح مسلم (١/ ١٣٩- رقم ٢٥٢/١٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا» (٥/ ٥- رقم ٣٦٦١) .

المَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ، فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ..[(١)]».

وهناك صور مشرقة كثيرة للتعاون والتكاتف وقت الشدائد والأزمات، ومن أجمل هذه الصور مواساة الأنصار لإخوانهم المهاجرين وقت الشدائد والأزمات، كما حدث بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف - ﷺ -، وما حدث بين الأنصاري وضيف رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الكفالة- بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقْدِهِ، وفي كتاب مناقب الأنصار- بَاب هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ إِلَى المَدِينَةِ (٥/ ٥٨- رقم ٣٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار- بَابُ قَوْلِ اللهِ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] (٥/ ٣٤- رقم ٣٧٩٨)، ومسلم في صحيحه: كتاب الْأَشْرِبَةِ- بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ (٣/ ١٦٢٤- رقم ٢٠٥٤/١٧٢).

فأثر المواساة والجود والكرم بلغ السماوات، مع أنهم لم يقدموا إلا الموجود، وآثروا الضيف على أنفسهم وعلى صغارهم فلذات أكبادهم مع أنَّهُم يتضورُون جوعًا! ! ، وهذا هو منتهى البذل والعطاء.

ومن ثم جعل رسول الله ﷺ المواساةُ بالطعام من أهم أسباب الفوز بالجنة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟ » قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ[1]».

ولقد امتدحَ الرسولُ ﷺ الأشعريين من أهل اليمن وأضافهم لنفسه تشريفا لهم؛ لأنهم يتحلون بالمواساة في أوقات الأزمات، فعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ[2]».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ مَنْ جَمَعَ الصَّدَقَةَ، وَأَعْمَالَ الْبِرِّ (٢/ ٧١٣- رقم ٨٧ /١٠٢٨)، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ-بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٤/ ١٨٥٧ – رقم ١٠٢٨/١٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الشَّرِكَةِ - بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ (٣/ ١٣٨- رقم ٢٤٨٦)، ومسلم في صحيحه: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ- بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٤/ ١٩٤٤- رقم ٢٥٠٠/١٦٧) .

قال الإمام النووي: «معْنَى أَرْمَلُوا فَنِيَ طَعَامُهُمْ. وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ الْأَشْعَرِيِّينَ وَفَضِيلَةُ الْإِيثَارِ وَالْمُوَاسَاةِ وَفَضِيلَةُ خَلْطِ الأزواد في السفر وفضيلة جمعها في شيء عِنْدَ قِلَّتِهَا فِي الْحَضَرِ ثُمَّ يَقْسِمُ[١]».

ومما يدل على فضيلة خلط الأزواد وفضيلة جمعها في شيء عِنْدَ قِلَّتِهَا حديث سَلَمَةَ ﷺ حيث قَالَ: خَفَّتْ أَزْوَادُ القَوْمِ، وَأَمْلَقُوا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فِي نَحْرِ إِبِلِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَلَقِيَهُمْ عُمَرُ، فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: مَا بَقَاؤُكُمْ بَعْدَ إِبِلِكُمْ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا بَقَاؤُهُمْ بَعْدَ إِبِلِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نَادِ فِي النَّاسِ، فَيَأْتُونَ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ»، فَبُسِطَ لِذَلِكَ نِطَعٌ، وَجَعَلُوهُ عَلَى النِّطَعِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا وَبَرَّكَ عَلَيْهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ بِأَوْعِيَتِهِمْ، فَاحْتَثَى النَّاسُ حَتَّى فَرَغُوا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ[٢]».

قال الإمام ابن حجر: «وَفِي الْحَدِيثِ حُسْنُ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِجَابَتُهُ إِلَى مَا يَلْتَمِسُ مِنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِجْرَاؤُهُمْ عَلَى الْعَادَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي الِاحْتِيَاجِ إِلَى الزَّادِ فِي السَّفَرِ وَمَنْقَبَةٌ ظَاهِرَةٌ لِعُمَرَ دَالَّةٌ عَلَى قُوَّةِ يَقِينِهِ بِإِجَابَةِ دُعَاءِ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَعَلَى حُسْنِ نَظَرِهِ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي إِجَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ عَلَى نَحْرِ إِبِلِهِمْ مَا يَتَحَتَّمُ أَنَّهُمْ يَبْقَوْنَ بِلَا ظَهْرٍ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَبْعَثَ اللهُ لَهُمْ مَا يَحْمِلُهُمْ مِنْ غَنِيمَةٍ وَنَحْوِهَا لَكِنْ أَجَابَ عُمَرُ إِلَى مَا أَشَارَ بِهِ لِتَعْجِيلِ الْمُعْجِزَةِ بِالْبَرَكَةِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الطَّعَامِ[٣]».

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٦٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَاب الشَّرِكَةِ- بَابُ الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنِّهْدِ وَالعُرُوضِ (٣/ ١٣٧ – رقم ٢٤٨٤)، وفي كِتَاب الجِهَادِ وَالسِّيَرِ-بَاب حَمْلِ الزَّادِ فِي الغَزْوِ (٤/ ٥٥ – رقم ٢٩٨٢) .

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٣٠) .

وقد حثنا النبي ﷺ على مواساة المحتاج من غير سؤال، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ[1]».

قال الإمام النووي: فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْجُودِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى الرُّفْقَةِ وَالْأَصْحَابِ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِ الْأَصْحَابِ، وَأَمْرُ كَبِيرِ الْقَوْمِ أَصْحَابَهُ بِمُوَاسَاةِ الْمُحْتَاجِ وَأَنَّهُ يُكْتَفَى فِي حَاجَةِ الْمُحْتَاجِ بِتَعَرُّضِهِ لِلْعَطَاءِ وَتَعْرِيضِهِ مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ أَيْ: مُتَعَرِّضًا لِشَيْءٍ يَدْفَعُ به حاجته وفيه مواساة بن السَّبِيلِ وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ لَهُ رَاحِلَةٌ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ أَوْ كَانَ مُوسِرًا فِي وَطَنِهِ؛ وَلِهَذَا يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ[2].

ولا شك أنه في حال الشدة والأزمات التي تعصف بالأمة تظهر معادن الرجال، ولا شك أن أقبحهم حالا من يقوم باستغلال حاجة الناس للطعام والشراب وقت الشدة والأزمات فيحتكر السلع الضرورية مع استغنائه عنها وشدة حاجة الناس إليها؛ ليبيعها بالغلاء الفاحش على حساب اليتيم، والمسكين، والأرملة، والضعيف، وبعد كل هذا يشتكي من وجود عقبات في بيته، سبحان الله! ! لا بد أن تكون هناك عقبات في حياته، بل وعقبات يوم القيامة جزاء وفاقا، فما النجاة من هذه العقبات؟ والجواب في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ اللُّقَطَةِ- بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ (٣/ ١٣٥٤- رقم ١٧٢٨/١٨) .

(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٣) .

﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ ﴾ البلد: ١١ – ١٨.

٣- محاربة كل صور الفساد:

إن الفساد بلاء عظيم، وشر مستطير، وداء اجتماعي خطير، فهو عمل المجرمين المخرِّبين، يُحوِّل المجتمع إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف ويقهره ويظلمه متى سنحت له الفرصة بذلك، وينتقم الغني فيها من الفقير.

ومواجهة الفساد مطلب شرعي، وواجب ديني ووطني، ومسؤولية مجتمعية، فالله لا يحب الفساد ولا المفسدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

ولهذا خشيت الملائكة من إفساد الأرض عندما أخبرها الله تبارك وتعالى أنه جاعل في الأرض مخلوقات من البشر يخلف بعضهم بعضاً فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

ولقد جاء القرآن الكريم ليُصلح ما أفسدته الطبائع البشرية، وغيّرته النزوات الشيطانية، فجعل محاربة الفساد والدعوة إلى الإصلاح من آكد مهمات الأنبياء والمرسلين، فصالح عليه السلام قال لقومه: ﴿ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وشعيب عليه السلام قال لقومه: ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [هود: ٨٥]، ولوط عليه السلام قال: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، وأوصى موسى عليه السلام

أخاه هارون حين استخلفه ألا يتبع سبيل المفسدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] .

وأخبر الله أن فساد العباد فسادٌ للأرض والبلاد، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم: ٤١] .

والمتأمل في القرآن والتاريخ يرى أن الله حذّر من مآل المفسدين، وجعله مثالاً يتوعد به على أمثالهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٦] .

والسُّنة المطهرة قرينة القرآن، هدفها الأسمى إصلاح البلاد والعباد، ومن ثم حاربت السنة النبوية الفساد -بشتى صوره وألوانه- والمفسدين، وإن من أخطر صور الفساد التي حاربتها السنة النبوية التي تُؤثر على المجتمع بصفة عامة، والفقير بصفة خاصة:

أ - الفساد المالي والإداري كالتعدي على الأموال العامة والخاصة بأي صورة كانت.

فحاربت السنة النبوية الفساد المالي والإداري بإغلاق الأبواب التي توصل له، فحرمت على الموظف أن يأخذ هدية بسبب عمله؛ سدا للذريعة، فربما كانت هذه الهدية رشوة يتوصل بها المُعطِي إلى ما لا يحل له، وأخذ ما ليس من حقه، أو إبطال حق، أو إحقاق باطل، أو لظلم أحد، فالرِّشوة مُحرمة بأي صورة كانت، وبأي اسم سُمِّيَت، هدية، أو مكافأة، أو غير ذلك.

فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ، قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ، حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا» ثُمَّ خَطَبَنَا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي، أَفَلاَ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ، وَاللهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا

لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ - ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطِهِ- يَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ» بَصُرَ عَيْنِي وَسَمْعَ أُذُنِي[١].

قال الإمام الخطابي: في هذا بيان أن هدايا العمال سُحْتٌ، وأنه ليس سبيلُها سبيلَ سائر الهدايا المباحةِ، وإنما يُهدَى إليه للمحاباة، وليخفف عن المُهدِي، ويُسوَّغ له بعض الواجب عليه. وهو خيانة منه، وبَخس للحق الواجب عليه استيفاؤه لأهله[٢].

وقال الإمام النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانُ أَنَّ هَدَايَا الْعُمَّالِ حَرَامٌ وَغُلُولٌ؛ لِأَنَّهُ خَانَ فِي وِلَايَتِهِ وَأَمَانَتِهِ وَلِهَذَا ذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ فِي عُقُوبَتِهِ وَحَمْلِهِ مَا أُهْدِيَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣].

فسرقة المال العام والأخذ منه هو من الغلول الذي فيه زجر شديد، ووعيد أكيد من رسول الله ﷺ، فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا، فَمَا فَوْقَهُ كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الْأَنْصَارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: «وَمَا لَكَ؟» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ، مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَى[٤]».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الحِيَلِ-بَابُ احْتِيَالِ العَامِلِ لِيُهْدَى لَهُ (٩/ ٢٨ – رقم ٦٩٧٩)، وفي كِتَاب الأَحْكَامِ- بَابُ مُحَاسَبَةِ الإِمَامِ عُمَّالَهُ (٩/ ٧٦ – رقم ٧١٩٧)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِمَارَةِ- بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ (٣/ ١٤٦٣ – رقم ١٨٣٢) .

(٢) معالم السنن (٣/ ٨) .

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢١٩) .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِمَارَةِ- بَابُ تَحْرِيمِ هَدَايَا الْعُمَّالِ (٣/ ١٤٦٥ – رقم ١٨٣٣/٣٠) .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: افْتَتَحْنَا خَيْبَرَ، وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى وَادِي القُرَى، وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضِّبَابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ، حَتَّى أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» فَجَاءَ رَجُلٌ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِشِرَاكٍ أَوْ بِشِرَاكَيْنِ، فَقَالَ: هَذَا شَيْءٌ كُنْتُ أَصَبْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «شِرَاكٌ - أَوْ شِرَاكَانِ - مِنْ نَارٍ[1]».

فإلي كل من سرق الأموال العامة أو الخاصة، أو أتلفها ولم يبال بفعله، تدبر هذا المصير، قال ربنا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، أي: يوم القيامة يحمل فوق رأسه ما غل، وهذا الرجل غل شملة واحدة فكان هذا جزاءه بعد جهاد في سبيل الله، بعد شهادة في سبيل الله، فما بالنا بمن يسرقون أقوات الشعوب ويهربونها خارج البلاد، ففي أكثر البلاد الإسلامية، لا يكاد يوم يمر إلا ونسمع عن فضيحة مالية لا تقدر بالملايين، بل تصل إلى مبالغ خيالية جدا، عصابة من الموظفين نفوسهم عفنة خربة قذرة، لم يلامسها نور الوحي يأخذون ثروات الأمة، أو فرد يسرق أراضي الدولة، أو يقوم بالنصب والاحتيال على الناس وخاصة الفقراء، فيسرق أموالهم وهو ما يعرف اليوم بظاهرة المستريح، وما بالنا بمن يُسخّر سيارات المصالح الحكومية كل يوم لمصالحه الشخصية، وما بالنا بمن يغلون الأراضي والعمارات التي خصصتها

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ المَغَازِي- بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ (٥/ ١٣٨- رقم ٤٢٣٤)، وفي كِتَاب الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ- بَابٌ: هَلْ يَدْخُلُ فِي الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ الأَرْضُ، وَالغَنَمُ، وَالزُّرُوعُ، وَالأَمْتِعَةُ (٨/ ١٤٣ -رقم ٦٧٠٧)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ- بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ (١/ ١٠٨- رقم ١١٥/١٨٣) .

الدولة للفقراء؟! كيف يحملونها يوم القيامة؟! . ومن ثم كما عالج الإسلام الفساد المالي بإغلاق السُبل الموصلة إليه، عالجه أيضا بإنزال العقوبة بمن استحل الأموال سواء كانت عامة أو خاصة دون نظر إلى مكانته في قومه.

فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا[1] ".

ب- المعاملات المحرمة:

ومن أعظمها الربا والاحتكار والغش في المعاملات وتطفيف الكيل والميزان وكثرة الحلف لإنفاق السلعة وبيع الأشياء المحرمة. فمع دعوة الإسلام إلى العمل وكسب المال إلا أنه يشدد غاية التشديد أن يكون اكتساب المال من حلال وأن يكون إنفاقه في حلال أيضا، فقد أمر الله عباده المؤمنين، ورسله المكرمين بالأكل من الطيبات، والأكل من الطيبات يُسبق بالكسب الحلال الطيب؛ فمن كسب طيبا أكل طيبا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ وهذا نداء عام لجميع الناس ثم خصص فقال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ- بَابُ حَدِيثِ الغَارِ (٤/ ١٧٥ – رقم ٣٤٧٥)، وفي كِتَاب الحُدُودِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ الشَّفَاعَةِ فِي الحَدِّ إِذَا رُفِعَ إِلَى السُّلْطَانِ صحيح البخاري (٨/ ١٦٠ – رقم ٦٧٨٨)، ومسلم في صحيحه: كِتَاب الحُدُودِ- بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ (٣/ ١٣١٥- رقم ١٦٨٨/٨) .

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ثم خصص فقال: (يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) .

والكسب الحرام يمنع قبول العبادة وإجابة الدعاء فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟[1]".

وآكل الحرام إنما يعرِّض نفسه للعقوبة بمحق إلهي لماله الذي اكتسبه ونزع البركة منه فيصبح فقيرا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] .

ورغم هذا التحذير الشديد أصبحنا نرى الآن تساهل الكثير من الناس في أكل المال الحرام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ[2]».

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (٢/ ٧٠٣ – رقم ١٠١٥/٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ – بَابُ مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ حَيْثُ كَسَبَ المَالَ (٣/ ٥٥ – رقم ٢٠٥٩)، وفي بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] (٣/ ٥٩- رقم ٢٠٨٣) .

هذا وإن الأمل الوحيد في إنقاذ الأرض من المفسدين في كل الأزمنة والأمكنة، يكمن في قيام أهل الحق والإصلاح بمسؤولياتهم أمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، ورقابة وردعًا؛ لأن طباع الناس متفاوتة؛ فمنهم من تؤثر فيه الموعظة، ومنهم من ليس يصلحه إلا الردع والشدة، فكم وقع من المصائب في الأبدان، والآلام في البلدان، بسبب الغش في البيع والشراء، وكم رأينا من أناس باعوا ضمائرهم ودينهم وغيروا صلاحية المنتجات التي يبيعونها رغم انتهاءها مما يمثل خطرا على من يتناولها، وربما أدى به إلى الموت.

ومن ثم كان نظام الحسبة في الإسلام، فالحسبة موضوعه على الرهبة، فهي سلطة رقابية تقوم على إزالة المنكر إذا ظهر فعله، وتأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، وأول من احتسب هو رسول الله ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ » قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي[(١)]».

بقي أن نقول: أن من الهيئات والإدارات الحكومية في عصرنا الحاضر التي تقابل الحسبة، وتحارب الفساد بكل صوره، وتضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه أن يسرق أقوات الشعوب، أو يغشهم: الرقابة الإدارية، والنيابة الإدارية، والجهاز المركزي للمحاسبات، وجهاز حماية المستهلك.

٤- الزكاة:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ- بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (١/ ٩٩- رقم ١٦٤/ ١٠٢) .

إن الزكاة عبادة عُرفت في الرسالات السابقة، فهي قاسم مشترك بين جميع الرسل؛ ذكرها الله تعالي في وصاياه إلي رسله فقال جل وعلا: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وجعلها القرآن الكريم سببا لنيل رحمة الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وجعلها شرطا لاستحقاق نصره سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، ومن صفات عمار المساجد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٨] .

هذا وإن الإسلام لم ينس أبدا الفقراء، ولم يتركهم فريسة للفقر، بل فرض لهم فريضة مقررة، ألا وهي الزكاة؛ تجنبهم شظف العيش، وألم الحرمان. والزكاةُ المفروضةُ ليست ضريبة تُؤخذ من الجيوب، ولا تفضلا ولا مِنة من الغني على الفقير، وإنما هي "حق معلوم" كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]، قسمه الله، ولم يترك ذلك لنبي مرسل، ولا ملك مقرب، وهي أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، تُؤخذ من الأغنياء فترد على الفقراء، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ

خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ[(١)]».

قال الحافظ ابن حجر: «قَوْلُهُ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى قَبْضَ الزَّكَاةِ وَصَرْفَهَا إِمَّا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا بِنَائِبِهِ فَمَنِ امْتَنَعَ مِنْهَا أُخِذَتْ مِنْهُ قَهْرًا[(٢)]».

وقد نصَّ القرآنُ على الغايةِ مِن إخراجِ الزكاةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣] .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن الزكاة أتُطهر من؟ هل المال، أم الغني، أم الفقير، أم المجتمع؟

والجواب أنها تطهرهم جميعا؛ فتطهر الفقراء، وتزكي نفوسهم من الحسد والحقد والغل على أهل المال والثراء؛ لأن الفقير متى علم أن المال كلما زاد مع الأغنياء عاد ذلك عليه بالنفع والزيادة، دعا لهم بالبركة والزيادة والنماء، وبهذا يتحول المجتمع إلى أسرة واحدة، يسودها الحب والإخاء، كما أنها تجعل الفقير يشعر بقيمته في المجتمع.

وتطهر الأغنياء من البخل والشح فلا يصير عبدا لماله؛ لأنه يخرج جزءًا من ماله للفقراء ابتغاء وجه الله، وقد قال نبينا ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ[(٣)]».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الزَّكَاةِ- بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ (٢/ ١٠٤ رقم ١٣٩٥)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ الْإِيمَانَ- باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥١- رقم ١٩/٣١) .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٦٠) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ (٤/ ٣٤ – رقم ٢٨٨٦)، وفي كِتَاب الرِّقَاقِ- بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ (٨/ ٩٢ – رقم ٦٤٣٥) .

وتطهر الأموال التي قد يكون قد دخلها شيء من الحرام والشبه- وربما صاحبها لا يدرى – فتأتى الزكاة لتطهر ذلك كله.

وتطهر المجتمع كله من مشاكل الفقر وكنز الثروات إذ إن المال – ولو جزء يسير منه – يتداول بين الناس فيعم النفع على المجتمع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧] .

والزكاة في الإسلام ليست إحسانًا اختياريًا، ولا صدقة تطوعية، ولكنها ركن أساسي من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره الكبرى، وعبادة من عباداته، تمثل بأنواعها المختلفة متنفسا للفقراء والمحتاجين تحقق لهم الكفاية من الحاجات الأساسية، وتغنيهم وتصونهم عن ذل السؤال، وشدة الحال، توعد الإسلام مانعها بالعقوبة الشديدة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ التوبة: ٣٤ – ٣٥، ومن ثم قاتل الصديق – رضي الله عنه- المرتدين الذين منعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ . والآن للأسف الشديد تنكب الكثيرون عن إخراج الزكاة، وبخلوا بما آتاهم الله من فضله؛ ظنا منهم أن البخل فيه خير لهم، كلا والله فالبخل فيه دمار وإتلاف للأموال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] .

ومن ثم كان النَّبِيِّ ﷺ يستعيذ بالله من البخل، فعنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَالكَسَلِ، وَأَرْذَلِ العُمُرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَفِتْنَةِ

المَحْيَا وَالمَمَاتِ[1]» أي يارب ألجأ إليك، وأستجير بك أن تعصمني من أن أكون بخيلا، فالبخل داء من شر الأدواء.

٥- الصدقة:

بعد الزكاة المفروضة يأتي دور الصدقة، إن للصدقة فضلاً عظيماً، وأهمية كبيرة في حياة المسلم، يُقبل عليها المرء طواعية واختيارا، ليس لها وقت محدد كالزكاة، حث الإسلام عليها ورغب فيها، وذم البخل والشح، وعندما فرطنا في هذا الأمر العظيم انحرف كثير من الناس عن طريق الإيمان، نتيجة للعوز والفاقة؛ لأنهم لم يجدوا من يراعيهم ويتصدق عليهم في غير وقت الزكاة. فما أجمل أن يتعرف المسلم على بيوت الفقراء والمساكين؛ ليدخل عليهم السعادة والسرور، وقد وعد الله أهل الصدقة بالأجر الكريم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحديد: ١٨]

ولعظم فضلها، وعلو شأنها يتلقاها الله تبارك وتعالى بيمينه، فعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧] (٢/ ١٠٨- رقم ١٤١٠)، وفي كِتَاب التَّوْحِيدِ- بَاب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] .. (٩/ ١٢٦- رقم ٧٤٣٠)، ومسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (٢/ ٧٠٢- رقم ١٠١٤/٦٤) .

الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ[(١)]».

ودليل هذا في كتاب ربنا قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٤].

قال الإمام القرطبي: قوله تعالى: "وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ" هَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْآخِذُ لَهَا وَالْمُثِيبُ عَلَيْهَا وأن الحق له ﷻ، وَالنَّبِيُّ ﷺ وَاسِطَةٌ فَإِنْ تُوُفِّيَ فَعَامِلُهُ هُوَ الْوَاسِطَةُ بَعْدَهُ، وَاللهُ ﷻ حَيٌّ لَا يَمُوتُ[(٢)].

فإن كانت الزكاة لا يُخرجها إلا القادر عليها، فإن الصدقة يقدر عليها كل أحد؛ يُخرج حسب استطاعته، ولو أقل القليل، ولا يحقرن من المعروف شيئا، فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ[(٣)]".

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ - بَابُ الحِرَاسَةِ فِي الغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ (٤/ ٣٤ - رقم ٢٨٨٦)، وفي كِتَاب الرِّقَاقِ- بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ (٨/ ٩٢ - رقم ٦٤٣٥).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٢٥١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ التَّوْحِيدِ- بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ (٩/ ١٤٨- رقم ٧٥١٢)، ومسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ (٢/ ٧٠٣- رقم ١٠١٦/٦٧).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ[(١)]».

فالمسلم الصادق ينفق في السراء والضراء، والصحة والمرض، والليل والنهار، يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة؛ لأنه يعلم أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة، رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شمالة ما تنفق يمينه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ[(٢)]".

والصدقة برهان على إيمان العبد، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا[(٣)]»

٦- صلة الرحم وكفالة الأقارب الفقراء:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ اسْتِحْبَابِ طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ (٤/ ٢٠٢٦- رقم ٢٦٢٦/١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ الصَّدَقَةِ بِاليَمِينِ (٢/ ١١١- رقم ١٤٢٣)، ومسلم في صحيحه: كِتَاب الزَّكَاةِ- بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ (٢/ ٧١٥ – رقم ١٠٣١/٩١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابِ الطَّهَارَةِ- بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ (١/ ٢٠٣- رقم ٢٢٣/١).

إن صلة الرحم أمر رباني، وواجب إنساني، ومظهر للوفاء والرحمة والتقدير، ومن أهم ما ينبغي أن يُعتنى ببيانه؛ فهي تزيد في الرزق، وتبارك في العمر.

قال الإمام النووي: صِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ الْإِحْسَانُ إِلَى الْأَقَارِبِ عَلَى حَسَبِ حَالِ الْوَاصِلِ وَالْمَوْصُولِ فَتَارَةً تَكُونُ بِالْمَالِ وَتَارَةً بِالْخِدْمَةِ وَتَارَةً بِالزِّيَارَةِ وَالسَّلَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[1].

هذا وإن قطيعة الرحم، ومعاداة الأقارب شر مستطير، ومعركة فاشلة، الرابح فيها خاسر، والمنتصر فيها مهزوم، ولا شك أن المجتمع الذي يحرص أفراده على التواصل والتراحم يكون حصنا منيعا، ووطنا آمنا.

ولأهميةِ صلةِ الرحمِ ومنزلتِهَا في الإسلامِ، تضافرتْ كثيرٌ مِن النصوصِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ بالحديثِ عنهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٠].

وجعل رسول الله ﷺ صلةَ الرحمِ مِن كمال الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ[2]»، ومن أسباب البركة في الرزق

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الأَدَبِ- بَابُ إِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَخِدْمَتِهِ إِيَّاهُ بِنَفْسِهِ (٨/ ٣٢- رقم ٦١٣٨).

والعمر، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ[(١)]»، وسبب لصلة الله وإكرامه، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ[(٢)]».

وأرشدنا النبي ﷺ إلى فضل الصدقة على الأرحام لما جاءه أبو طلحة الأنصاري، فعَنْ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ[(٣)]».

وكان الصديق ﷺ يعطي النفقة لـ مسطح بن أثاثة؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ، فلما تكلم في عائشة وخاض مع الخائضين في حادثة الإفك، قال الصديق: وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ البُيُوعِ- بَابُ مَنْ أَحَبَّ البَسْطَ فِي الرِّزْقِ (٣/ ٥٦- رقم ٢٠٦٧)، ومسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٤/ ١٩٨٢ – رقم ٢٥٥٧/٢٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ- بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا (٤/ ١٩٨١- رقم ٢٥٥٥/١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ- بَابُ الزَّكَاةِ عَلَى الأَقَارِبِ (٢/ ١١٩- رقم ١٤٦١).

لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]،

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا..[(١)]».

ومن ثم لما جاءت زينب امرأة ابن مسعود ﷺ إلى رسول الله ﷺ، وكانت امرأة من ثقيف، وابن مسعود ليس قريبًا لها؛ فهو من هذيل، فجاءت هذه المرأة إلى رسول الله ﷺ تسأله عن صدقتها على زوجها ابن مسعود أفيها أجر؟ وكان من فقراء المهاجرين الأولين الذين خرجوا من أموالهم لله ﷻ، ولم يصحب من ماله إلا سيفه الذي هاجر به من مكة فقال لها: أجران. فعَنْ عَمْرِو بْنِ الحَارِثِ، عَنْ زَيْنَبَ - امْرَأَةِ عَبْدِ اللهِ ﷺ - قَالَتْ: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ» وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللهِ، وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللهِ: سَلْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى البَابِ، حَاجَتُهَا مِثْلُ حَاجَتِي، فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلاَلٌ، فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيَّ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي، وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وَقُلْنَا: لاَ تُخْبِرْ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ- بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا (٣/ ١٧٣- رقم ٢٦٦١)، وفي كِتَاب المَغَازِي- بَابُ حَدِيثِ الإِفْكِ ... (٥/ ١١٦- رقم ٤١٤١)، وفي كِتَاب تَفْسِيرِ القُرْآنِ- بَابُ ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ المُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] (٦/ ١٠١- رقم ٤٧٥٠)، ومسلم في صحيحه: كتاب التَّوْبَةِ- بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ (٤/ ٢١٢٩- رقم ٢٧٧٠/٥٦).

بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «مَنْ هُمَا؟ » قَالَ: زَيْنَبُ، قَالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟ » قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ القَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ[1]».

وهناك وسائل أخرى لمعالجة الفقر في الإسلام منها: الاقتصاد في المعيشة، والبعد عن المعاصي والذنوب، والكفارات، والنذور، والأضاحي والهدي، والفدية، والوقف، وغير ذلك.

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات

النتائج:

- مشكلة الفقر ليست وليدة اليوم بل هي مشكلة عميقة الجذور .
- يخلق الفقر بيئة غير سوية تُسهم في وقوع الجرائم الأخلاقية المختلفة.
- على الشعوب الرجوع إلى تعاليم الإسلام فإن فيه الحل لكل مشكلة.
- تثمن السنة النبوية العمل، وتنبذ العجز والكسل.
- الإسلام يُريد من المسلم أن يعيش كريما وليس عالة على أحد؛ فاليد المنفقة خير من اليد الآخذة.
- لا يُعطي القاعد عن العمل تكاسلا من الزكاة.
- يجب الاهتمام بالمحتاج الذي عضه الفقر بنابه ويتعفف عن السؤال.
- ربط الدراسات الاقتصادية بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- تمثل الزكاة قوة اقتصادية ضخمة في مواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

التوصيات:

- إنشاء المزيد من المشروعات الإنتاجية التي تُوفر فرص عمل للطبقة الفقيرة، فقوة الدول إنما تكون بقدرتها على الإنتاج.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ الزَّكَاةِ - بَابُ الزَّكَاةِ عَلَى الزَّوْجِ وَالأَيْتَامِ فِي الحَجْرِ (٢/ ١٢١- رقم ١٤٦٦) .

- في أوقات المحن والأزمات يتوجب على أهل العلم أن يتكاتفوا لدراسة أسباب هذه الأزمات ومن ثم محاولة الوصول إلى حلول علمية؛ للتغلب عليها أو حُسن إدارتها.

- الاهتمام بإبراز المشكلات المعاصرة، وتسليط الضوء على أسبابها وتداعياتها ومنهج الإسلام في معالجتها، وذلك من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات والبحوث ودروس الوعظ في المساجد.

- ضرورة إحياء فقه التكافل والمواساة بين الناس؛ لسد حاجات أهل العوز والفقر، والقضاء على الظواهر السلبية التي تظهر في المجتمع وقت المحن والأزمات.

- ضرورة سن قوانين تلزم الأغنياء بإخراج زكاة أموالهم، وعمل قاعدة بيانات لحصر الفقراء وتغطية حاجتهم.

- ضرورة العمل على زيادة الوعي بفرضية الزكاة، ودورها الهام في النهوض باقتصاد الدولة.

- تخصيص لجان رسمية تُعنى بالتثبت من استحقاق الشخص للمعونات التي تُقدمها الدولة أو يُقدمها الأفراد.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، أدام الله حفظه في الصدور وبين السطور.

- الإبانة في اللغة العربية، لسَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، دار النشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية.

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة- لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم ابن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (ت ٨٤٠هـ) - تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد.

- أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، (ت: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

- الأم، للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- عدد الأجزاء: ٨.

- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت: ٩٧٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ

- البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، (ت: ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠ م.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

- التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، الزهراء للإعلام العربي- قسم النشر، ط١، ١٩٩١م.

- التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى خالدي وعمرو فروخ، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.

- التعريفات الفقهية، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار النشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر

- التنصير في القرن الأفريقي ومقاومته، سيد أحمد يحيى، دار العمير للثقافة والنشر، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

- التهذيب في فقه الإمام الشافعي، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- عدد الأجزاء: ٩، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

- الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- الجذور التاريخية، خالد محمد نعيم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

- الدعاء للطبراني، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ -عدد الأجزاء: ١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

- الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد

أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

- الروضة الندية شرح الدرر البهية، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، الناشر: دار المعرفة.

- الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العُقَيْلِي (ت ٣٢٢ هـ)، دار النشر: دار المكتبة العلمية ـ بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي .

- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عَدِي الجُرْجَانِي (ت ٣٦٥ هـ)، دار النشر: دار الفكر ـ بيروت، الطبعة: الثالثة ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، تحقيق: يحيى مختار غزاوي .

- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة –بيروت، بدون طبعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار النشر: دار الفكر (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي) .

- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النَّيْسَابُوْرِي (ت ٤٠٥ هـ)، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا .

- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشَّيْبَانِي، لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن

أحمد بن قُدَامَة المَقْدِسِي الحَنْبَلِي (ت ٦٢٠ هـ)، دار النشر: دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى .

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦هـ) . حققه وعلق عليه وقدم له: محي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . دار ابن كثير: دمشق، وبيروت، ودار الكلم الطيب: دمشق، وبيروت.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ- عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات) .

- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، دار النشر: دار السلاسل – الكويت، الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) .

- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.

- تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار النشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

- تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العَسْقَلَانِي (ت ٨٥٢ هـ)، دار النشر: دار الرشيد ـ سوريا، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، تحقيق: محمد عوامة .

- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، دار

النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، تحقيق/ محمد عوض مرعب.

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: ١٢٣٠هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

- حاشيتا قليوبي وعميرة، لأحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م

- حواشي الشبراوي، عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي (المتوفى: ١٢٨٩هـ)، دار القمة- بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٦٤م.

- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: ١٢٥٢هـ)، دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

- سنن ابن مَاجَه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القَزْوِينِي، المعروف بابن مَاجَه (ت ٢٧٣ هـ)، دار النشر: دار الفكر ـ بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

- سنن النَّسَائِي (المجتبى)، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شُعَيْب النَّسَائِي (ت ٣٠٣ هـ)، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب، الثانية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة .

- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، سنة الولادة ٧٢٢هـ/ سنة الوفاة ٧٧٢هـ، تحقيق قدم له ووضع

حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكان النشر: لبنان/ بيروت.

- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود البَغَوِي (ت ٥١٦ هـ)، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش .

- شرح صحيح البخارى، لابن بطال، (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم (ت: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البَيْهَقِي (ت ٤٥٨ هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول .

- صحيح مُسْلِم، لأبي الحسين مُسْلِم بن الحَجَّاج القُشَيْرِي النَّيْسَابُوْرِي (ت ٢٦١ هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، مصورة دار إحياء التراث العربي: بيروت - لبنان، عن الطبعة المنيرية بمصر.

- غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مُسْلِم بن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِي (ت ٢٧٦ هـ)، دار النشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى ١٣٩٧هـ، تحقيق: د . عبد الله الجبوري .

- فتح الباري شرح صحيح البُخَارِي، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حَجَر العَسْقَلَانِي (ت ٨٥٢ هـ)، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب .

- فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١هـ)، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المُنَاوِي (ت ١٠٣١ هـ)، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر، الطبعة: الأولى ١٣٥٦هـ .

- كفاية النبيه في شرح التنبيه، لأحمد بن محمد بن علي الأنصاري، المعروف بابن الرفعة (ت: ٧١٠هـ)، المحقق: مجدي محمد سرور باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، م ٢٠٠٩.

- مبادئ علم الاقتصاد"، للصعيدي عبد الله، مطابع البيان، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

- مرقاة المفاتيح: للملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، تحقيق: جمال عيتاني.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيْبَانِي (ت ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، دار النشر: مؤسسة الرسالة، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

- مسند الشهاب، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

- مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (ت: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

- معالم السنن: للإمام اللغوي أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، وهو شرح سنن أبي داود. طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ. الطبعة الأولى (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) . المطبعة العلمية: حلب.

- معجم الفروق اللغوية، لأبي بو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، المحقق: الشيخ بيت الله بيات.

- منح الجليل شرح مختصر خليل، لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (ت: ١٢٩٩هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، تاريخ النشر: ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

- نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (ت: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

فهرس موضوعات البحث

ملخص البحث باللغة العربية..... ٩٥٣
ملخص البحث باللغة الإنجليزية..... ٩٥٤
الـمقدمة ٩٥٥
أهمية البحث: ٩٥٧
مشكلة البحث: ٩٥٧
منهج البحث:..... ٩٥٧
هيكل البحث: ٩٥٨
الـمبحث الأول: مفهوم الفقر، والاستعاذة منه..... ٩٥٩
* مفهوم الفقر: ٩٥٩
مفهوم الفقر في الاقتصاد: ٩٥٩
الفرق بين الفقير والمسكين، والفقر المُوجِب للمسألة:..... ٩٦١
الفقر المُوجِب للمسألة: ٩٦٢
الاستعاذة من فتنة الفقر: ٩٦٣
إشكال وجوابه:..... ٩٦٦
آثار الفقر المستعاذ منه ومآلاته: ٩٧١
علاج الفقر في ضوء السنة النبوية: ٩٧٧
١- الحث على العملِ، ونبذ العجزِ والكسلِ: ٩٧٧
نبذ العجز والكسل ومحاربة التسول:..... ٩٨٢
٢- المواساة عند الفاقة:..... ٩٨٤
٣- محاربة كل صور الفساد:..... ٩٩١

الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات ١٠٠٧
النتائج: ١٠٠٧
التوصيات: ١٠٠٧
فهرس المصادر والمراجع ١٠٠٨
فهرس موضوعات البحث ١٠١٧

تم بحمد الله تعالى